

الأمير فإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَوَكِّلِينَ (آل عمران/ 159). إِنَّ الآيَةَ تتحدث عن صورة مثالية للقيادة والقائد،
وعن كيفية تعامل الرسول (ص) الداعية والقائد مع مجتمعه وأتباعه.. كيف يتعامل كقائد
وكداعية □ وللمرّسالة.. وكيف أنّهم مجتمعون من حوله ومنتكاتفون معه على أساس اللطّف
والمحبّة والإحترام والعفو عن المخطئ، والاستغفار له، وليس على أساس التسلّط والقهر
والفرض.. ثمّ يدعو إلى أن يُشاورهم في الأمور التي تعرض أمامه.. أمور الدّعوة والجهاد
والدّولة الإسلامية وغيرها.. طبق الرسول (ص) مبدأ الشورى، وشاور أصحابه في مواقع
عديدة، والتزام بأرائهم، وعمل بها.. شاورهم في معركة بدر وأُحد والأحزاب وغيرها من
المواقف.. بل قبل (ص) رأي أصحابه في معركة أُحد المُخالف لرأيه.. ومن الواضح أنّ
الرسول (ص) إذ يستشير أصحابه، لم يكن بحاجة إلى رأي، فهو المُسدّد بالوحي، وهو
المعصوم من الخطأ.. إنّما أمر بالشورى ليكون منهجاً للأُمَّة، وجزءاً من السيرة
والسلوك النبوي الكريم، وليُشعر أتباعه باحترام آرائهم وبمشاركتهم في القرار
والمسؤولية، وليدرّ بهم على هذه القيم، ويُرسيّ فيها ثقافة عملية وسلوكاً متعارفاً
عليه.. إنّ القرآن يُثقف أتباعه ويُربيّ بينهم على مبدأ الشورى، كأفراد وكأُمَّة
وجماعة، وكقيادة وممارسين لحمل المسؤولية عندما يصف النخبة المؤمنة بقوله:
(وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى
بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفقُونَ) (الشورى/ 38).. ويتسامى مفهوم الشورى
في وعي المسلم وحياته عندما يقرأ دعوة القرآن للرسول (ص) القائد وحامل الرّسالة أن
يتشاور مع أتباعه، ويحترم رأيهم.. وهكذا يُثبّت القرآن الشورى منهجاً ونظاماً
للحياة.. فالقائد يُشاور أتباعه.. وربّ الأسرة يتشاور مع أفراد أُسرته: الزوجة
والأبناء والإخوة.. ليُشعرهم بالإحترام والمشاركة بالرأي، وليستفيد من آرائهم وخبراتهم
وملاحظاتهم.. وقد ثبت القرآن مبدأ الشورى والتشاور بين الزوج والزوجة حول رضاء
الولد وطاقمه.. ذلك لأنّ الرّضاع حقّ للأُمّ، وليس واجباً عليها - كما يقول الفقهاء -،
وهذا التشاور تميّناً لحقّ الأُمّ في الرّضاعة، واحترام رأيها، لئلا يكون العُنف
والإستبداد، هو أسلوب التعامل، وفرض الحلول.. نقرأ هذه الدّعوة والثّقافة في قوله
تعالى: (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَأَمْلَيْنِ لِمَنْ
أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرّضاعةَ وَعَلَى الْوَالِدِ لَهُ رِزْقُهُنَّ
وَكَسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ وِزْرًا لِوَالِدِهَا إِلَّا بِالتّضارّرِ
وَالْوَالِدَةُ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ
ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ

عَلَيْهِمْ مَا وَإِنَّ أَرَادَ تُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (البقرة / 233). وينبغي الإيضاح
أنَّ الشُّورى والتَّشاور في عالمنا المعاصر يحتاج إلى خبراء ومتخصِّصين في المجالات التي
يتمُّ استشارتهم فيها.. فالمستشار في شؤون السِّياسة أو المال أو المجتمع أو الأمن
والعسكرية أو غيرها، يجب أن يكون ذا خبرة ومعرفة في القضية التي يُستشار بها.. بل
يتَّسع مفهوم الشُّورى والتَّشاور ليمتدَّ إلى الشُّؤون الفردية.. فمَنْ أراد أن يؤسِّس
شركة أو مشروعاً إنتاجياً أو ثقافياً، عليه أن يستشير الخبراء والمتخصِّصين في ذلك..
ومَنْ أراد أن يتزوَّج، عليه أن يستشير في قضيَّة الزَّواج، والتعرُّف على شريك الحياة من
الآخرين.. ومَنْ أراد أن يقوم بعملٍ أو مؤسَّسةٍ أو مشاركةٍ في الحياة السِّياسية، أو
الاجتماعية، عليه أن يستشير أصحاب الخبرة؛ لتلَّا يقع في الخطأ والفسل والخسارة.. وفي
عالمنا المعاصر يُطبَّق مبدأ الشُّورى في اختيار الحاكم والحكومة وانتخابها، وتُبنى
مؤسَّسات الدَّول والمجتمع على أساس مبدأ الشُّورى، واستشارة ذوي الخبرة والإخلاص. إنَّ
القرآن يوجِّهنا إلى ذلك بقوله: (فَأَسْأَلُ بِهِ خَبِيرًا) (الفرقان / 59).
(فَأَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (الأنبياء / 7). وفي مبادئ
الشُّريعة نجد قاعدة عقلية وشرعية تقول: "مَنْ يَعْلَمُ حِجَّةً عَلَى مَنْ لَا يَعْلَمُ".. فعلى مَنْ
لا يعلم الرُّجوع إلى مَنْ يَعْلَمُ في كلِّ شَأْنٍ وقضيةٍ، لا سيَّما القضايا المهمَّة والخطيرة
في حياة الفرد والجماعة والدَّولة والأُمَّة. كقضايا السِّياسة والأمن والإقتصاد والإعمار
والأزمات التي تواجهها الأُمَّة.. واعتبر الشَّهيد السَّعيد الفقيه والمفكِّر الإسلامي
السيِّد محمَّد باقر الصِّدر (رض) الشُّورى أساساً لنظرية الحكم وإقامة الدَّولة الإسلامية
في عالمنا المعاصر.. كما ثبتَّ دور الشَّهادة أو الرِّقابة في هذه الدَّولة للمرجعية
الدِّينية المتصدِّية والمؤهلَّة لهذه المهمَّة السِّياسية.. واعتمد في هذه النُّظرية على
آيتين هما: (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) (الشورى / 38). (وَالْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعَضُهُمْ أَبْوَءٌ وَبَعْضٌ بَعْضٌ يَأْتُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة / 71). وبحثَ هذه النُّظرية في كتابه: (خلاقة الإنسان وشهادة
الأنبياء). ►